المشروع السياسي للخليفة عثمان بن عفان ومعارضات الصحابة والقرّاء

فريد فوغالية

ماجستير التاريخ الإسلامي "التاريخ الوسيط"
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة – جمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

فريد فوغالية، المشروع السياسي للخليفة عثمان بن عفان ومعارضات الصحابة والقُرّاء.- دورية كان التاريخية.- العدد السابع عشر؛ سبتمبر ٢٠١٢. ص ٩٨ – ١٠٥.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢

ملخص

تغيرت نظرة الخليفة عثمان بن عفانﷺ لمؤسسة الخلافة ودورها عن نظرة سابقيه أبي بكرﷺ وعمرﷺ، فبعدما كان هذان الأخيران ينظران إلى نفسيهما على أنهما خلفاء للنبيﷺ في تولي شؤون المسلمين، أصبح عثمان بن عفانﷺ ينظر إلى نفسه أنه خليفة لله في أرضه وعلى عباده، أي أنه يحكم بتفويض من الله، كما أنه عمل على جعل الخلافة مؤسسة سُلطوية مستقلة بذاتها عن منظومة الأعراف القبلية للمشيخة والرئاسة، وأسمى من الشرعية التاريخية للصحابة. وقد اتخذ عثمانﷺ في سبيل تحقيق مشروعه هذا عدة إجراءات، تمثلت في رفع البيت الأموي إلى الواجهة السياسية للدولة عن طريق تخصيصه بالولايات والأعمال، والعمل على ترسيخ المراكز السياسية والمالية لأهل السابقة في الأمصار المفتوحة للحد من نفوذ القبائل فيها. إن الفلسفة السياسية للخليفة عثمانﷺ والتي جعلت منه خليفة لله في أرضه، ونظرته للمال أنه مالٌ لله يفعل فيه ما يشاء، قد أدت إلى خلق فجوة بينه وبين الصحابة وجمهور القبائل، خاصةً في الأمصار، والذين رأوا في سياسته هذه نزوعًا نحو المُلكية الأُسروية، وسيطلقون عقيرتهم بالطعن على عثمانﷺ وولاته، وسينتج عن ذلك صدام تناحري بين الخليفة ومعارضيه من القبائل فيما عرف بـ «الفتنة»، والتي أدت إلى مقتل الخليفة عثمانﷺ سنة ٣٥هـ/٦٥٥م.

مقدمة

مع وفاة الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطابﷺ سوف تنهار سياسة الضبط والشدة التي اعتمدها، والتي دفعته إلى محاسبة عماله محاسبة مالية دقيقة،[١] كما حَجَر على صحابة الرسولﷺ ومنعهم الخروج والانسياح في الأمصار، فقال: "إني آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرة، لاتخرجوا فتسللوا بالناس يمينًا وشمالاً".[٢] وكانت مرجعيته في سياسته هذه أن الأمة تتكون من جماعة من المتساوين، الذين لا فوارق بينهم إلا السابقة في الإسلام، ولا سُلطان عليهم إلا سلطان الله، وإمامهم فرد منهم، وهو نموذج في حُسن القيام على مصالحهم، أما الإمارة فهي في رأيه ليست سيادة ومُلك، وإنما هي استمرارية لتلك المدرسة التي أرساها الرسولﷺ، وتابعه عليها خليفته أبابكرﷺ.[٣]

وقد فرضت الظروف التي ترك عليها عمر بن الخطابﷺ أمة محمد ﷺ أن لا تكون مبايعة الخليفة الجديد مسألة اختيار بين شخصيات فحسب، بل إن المرشحين الستة أعضاء الشورى، كانوا من كبار وجوه قريش، ومن أئمة المسلمين، ومن كبار الصحابة، ومن أشرف وأَخْيَر أهل الفضل والسابقة والقدم في الإسلام.[٤] ثم هُمُ الذين توفي الرسولﷺ وهو راض عنهم، إذن فاختيار الخليفة الجديد سيكون مِن قِبَل الصحابة، ومن قِبَل المهاجرين المكيين على وجه التحديد.

إن رغبة قريش في التخلص من سياسة عمرﷺ المتشددة إزاءها سوف تدفعها إلى الضغط من أجل الحؤول دون وصول عمر ثان

لحكم المسلمين، لهذا سيكون عثمان بن عفانﷺ الشخصية التوافقية التي سيؤول إليها أمر أمة محمدﷺ، لأنه "...أحب إلى قريش من عمر"[٥]، وكان الشرط في توليته هو السَّير "...بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر."[٦] وهو ما وافق عليه، وسيكون القرآن، وسنة النبيﷺ، وسيرة الخليفتين الأولين، هي المرجعية التي سيحتكم إليها كل من الخليفة عثمان ﷺ، وكل الذين عارضوا سياسته، وحاصروا دار إمارته وقتلوه سنة ٣٥هـ/٦٥٥م.

فما هي السياسة التي اتبعها عثمان ﷺ في خلافته؟

إن الهدف النهائي لسياسة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ هو رفع مؤسسة الخلافة وجعلها مؤسسة مستقلة بذاتها عن المنظومة العرفية القبلية واعتباراتها[٧]، وتعتبر السياسة المالية من أهم الجوانب في السياسة الجديدة التي اتبعها عثمان ﷺ، وهي التي جعلت للخليفة الحق في التصرف في بيت المال، وتخصيص أهل بيته بالمنح، باعتبار أن هذا المال هو "مال الله" والخليفة هو "خليفة الله" على أرضه وعلى عباده.

ترد في المصادر إشارات عديدة لسخاء عثمان ﷺ وإنفاقه من بيت المال على أقاربه وأهل بيته، فقد منح مروان بن الحكم خُمس غنائم أفريقية سنة ٢٧هـ/٦٤٨م،[٨] ولما زَوَّج ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد أمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها له من بيت مال البصرة،[٩] كما وهب إبل الصدقة للحارث بن الحكم بن أبي العاص،[١٠] ولما أتى الحكم بن أبي العاص بصدقات قضاعة - وكان قد ولاه جبايتها- البالغة ثلاثمائة ألف درهم وهبها له عثمان،[١١] كما حَلَّى بعض أهل بيته من حلي محفوظة في بيت المال.[١٢] من هنا تتضح نظرة الخليفة لأموال الفيء، فعثمان لم يكن يرى في نفسه إمامًا للمسلمين فحسب، بل كان ينظر إلى نفسه أنه خليفة لله في أرضه وعلى عباده، لأن الخلافة قميص قَمَّصَه الله أياها،[١٣] وبما أن تسيير الشؤون السياسية والإدارية للدولة كان بيده، فإن ذلك يمنحه حرية التصرف في تلك الأموال كيف يشاء.

لم تكن سياسته هذه لتمر دون معارضة الصحابة الذين رأوا فيها خروجًا عن سنة أبي بكر وعمر اللَّذين مَنعا أَنْفُسهما وأهليهما هذه الأموال.[١٤] ويتضح من رواية للبلاذري(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) اختلاف نظرة عثمانﷺ لأموال الفيء ولبيت المال عمومًا ونظرة الصحابة، ذلك أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود خازن بيت مال الكوفة، أقرض الوليد بن عقبة عاملها من بيت المال، ثم اقتضاه أياه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمانﷺ، الذي كتب إلى ابن مسعود: "إنما أنت خازن لنا فلا تَعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أَظُنُّني خازنا للمسلمين، فأما إذا كنت خازنًا لكم فلا حاجة لي في ذلك."[١٥] فالخليفة إذاً يجعل من بيت مال المسلمين بيت مال خاص به يتصرف فيه كما يشاء.

تطور الخلافة لتصبح مؤسسة مستقلة بذاتها

إن الخلافة في نظر الخليفة عثمانﷺ هي تكليف من الله عز وجل، واختيار منه لقيادة أمة محمد ﷺ، إنها كرامة خصه الله بها دون سائر عباده، وبما أنه لم يُحْدِث في أيامه ما يُثير سخط الله وما يُعارض القرآن وسنة النبي فإنه ليس من حق أي أحد أن يطلب منه اعتزال هذا الأمر طوعًا أو كرهًا[١٦]، لذلك خاطب الثوار المحاصرين لداره: "أَمَّا أن أَتبرَّأ من الإمارة، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته"[١٧]. يتضح من رواية للطبري لحوار دار بين عثمانﷺ ومُحاصريه نظرة كل طرف لمنصب الخلافة وشروط التولية والعزل، قال عثمان: "...أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصا قَمَّصَنِيه الله عز وجل، وأكرمني به، وخَصَّني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عَابَهُ المسلمون... قالوا: ...كيف نقبل توبتك وقد بَلونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه، فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك..."[١٨].

إذن ما يستطيع عثمانﷺ أن يمنحه لمعارضيه هو التوبة عما يقول المسلمون أنه أَحْدَثَهُ في خلافته، التوبة عما يثير سخطهم، إنه لا يعترف بحق الرَّعية في عزل خليفتهم الذي يحكم بتفويض من الله، بأمور أنكروها هم عليه، وليست هي من سخط الله في شيء، هنا يحتدم الصراع بين منطق القبيلة ومنطق الدولة، منطق القبيلة في عزل الشيخ أو الرئيس إذا "غَيَّرَ وبَدَّل"، واستبداله برئيس آخر يرضون عنه، ويكون من اختيارهم، أما منطق الدولة لدى الخليفة عثمانﷺ فيرى أن الخلافة أعلى وأسمى مما يظنه هؤلاء، لذلك فهو يرفض أي نقاش أو مساومة حول صلاحيات منصبه، الذي هو خلافة لله عز وجل في أرضه وعلى عباده، وأمر منه لا يحل له التبرأ منه أو اعتزاله[١٩]، وهذا هو جوهر خلافة عثمانﷺ. فالخطة السياسية الجديدة التي اتبعها الخليفة عثمان بن عفان تقوم على أخذ المبادرة وعدم تركها بِيَد رجال القبائل في الأمصار المفتوحة، والاكتفاء بمنح اعترافه الرسمي بقراراتهم[٢٠]، إنه يؤكد على حق الخليفة في الاستفراد والاستقلال في البَت في شؤون الأمة ومصالحها، كان السؤال النِّزَاعي الأساسي هو: مَن عليه أن يَتَّبِع من، الخليفةُ القبائل، أم القبائلُ الخليفة؟ كان موقف عثمانﷺ النظري والعملي واضحًا لا التباس فيه، كان يرى أنه ليس من حق الرؤساء القبليين التدخل في شؤون الخلافة طالما أن أجرهم على فتوحاتهم يصلهم دون نقصان.[٢١]

إن عثمانﷺ وفي سبيل تحقيق سياسته، وبهدف التأكيد على أنه صاحب القرار فيما يخص الشؤون والمصالح العامة للدولة، سوف يلجأ إلى وسائل أكثر حِدَّةً وتَطرفا، تجعل من ممارسات القمع والقهر تتطور تدريجيًا لتصبح "كجزء عضوي من عمل ووظيفة الطاقم الإداري للأمة".[٢٢] لما اجتمع الخليفة بولاته وشاورهم فيما يصنع بعد أن كَثُرت أراجيف الناس بهم، كان قراره أن "...أمرهم بالتضييق على من قِبَلِهِم، وأمرهم بِتَجْمير الناس في البعوث، وعزم

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

على تحريم أُعْطِياتهم لِيُطيعوه ويحتاجوا إليه".[٢٣] ولن يكتفي عثمانﷺ بذلك بل إن إجراءاته التعسفية سوف تطال بعضًا من كبار الصحابة الذين عارضوا سياسته، فقد نفى أباذر الغفاري إلى الرَّبَذَة[٢٤]، كما ضرب عمار بن ياسر حتى غشي عليه عندما عارض سياسة عثمانﷺ في منح أهل بيته العطايا من بيت المال[٢٥]، وعمل على نفيه هو الآخر ما أثار استنكار الصحابة[٢٦]. وهكذا فإن عثمانﷺ يؤكد من خلال هذه الإجراءات أن خلافته ليست أعلى وأسمى من منظومة الأعراف القَبَلية للإمارة والمَشيخة فحسب، بل إن مرتبته فوق مرتبة الصحابة أنفسهم، وأن سلطته التي منحه الله أياها باعتباره خليفة عنه هي أعلى من شرعيتهم التاريخية باعتبارهم أهل السابقة والقدم في الإسلام، وأئمة المسلمين، لكن إجراءاته هذه سوف تؤدي إلى خلق فجوة بين عثمان والصحابة الذين رفعوا لواء المعارضة ضد سياسته.

تفضيل عثمانﷺ لأهل بيته في التولية

أدرك الخليفة عثمان بن عفانﷺ أنه لتحقيق مشروعه السياسي الرَّامي لجعل مؤسسة الخلافة سلطة مستقلة بذاتها ومنفصلة عن أي اعتبارات قَبَلية للمشيخة والرئاسة، وبهدف إبقاء جمهور القبائل تحت زعامة النخبة القرشية المكية، والأموية تحديدًا، سوف يتخذ سلسة من الإجراءات التي رفعت أفرادًا من البيت الأموي إلى الواجهة السياسية للدولة، ففي سنة٢٥هـ/٦٤٦م عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وعَين مكانه الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط أخوه لأمه،[٢٧] وفي سنة٢٧هـ/٦٤٨م عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح،[٢٨] وهو أخو عثمان من الرضاعة،[٢٩] وفي سنة٢٩هـ / ٦٥٠م عزل أبا موسى الأشعري عن ولاية البصرة واستعمل عليها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان،[٣٠] وفي سنة٣٠هـ/٦٥١م عزل عثمان الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة وعين مكانه سعيد بن العاص،[٣١] كما أنه جعل مروان بن الحكم كاتبًا له.[٣٢]

اتخاذ عثمانﷺ أفرادًا من عشيرته ولاة على الأقاليم، وجعلهم خاصة له دون بقية الصحابة، يؤكد على أنه لم يكن ينظر إلى السَّابقة في الإسلام كقاعدة وأساس للتولية، بل كان يعمل على تشكيل دائرة ثقة خاصةً حوله مُكَوَّنة من أَكْفأ عناصر بني أمية، وجعلهم مستشارين له على حساب شخصيات صحابية كبيرة على غرار علي وطلحة والزبير... وغيرهم.[٣٣] لكن هؤلاء الولاة الذين عَيَّنهم كانوا ذوي خبرة معتبرة في شؤون الإدارة والحكم، كما أنه كان يستطيع أن يثق فيهم، ويَستند إليهم في تحقيق الهدف النهائي لسياسته وهو تعزيز مركز "أمير المؤمنين" أمام القيادات القبلية الأخرى خاصة في الأمصار المفتوحة.[٣٤] إن سياسة التولية العثمانية هذه لم تكن نتيجة لتعاطف عثمان مع بِطانته وأهل بيته، بل كانت نتيجة لقناعة الخليفة أن تطبيق المواقف السياسية العامة التي يتبناها أمر لا يمكن له أن يَنْعَقِد بالتعاون مع الشخصيات الصحابية التي حملت نظام ديوان عمر بن الخطابﷺ وساهمت في صياغته وتطبيقه، فاستبدال الأشخاص كان نتيجة لِتَبَدُّل المواقف، خاصة أن عثمانﷺ كان يرى أن التولية والعزل من صميم اختصاصاته كخليفة للمسلمين وليس من حق أي شخص مهما بلغ مركزه وعَظُم بلاءه في الإسلام التدخل فيها،[٣٥] لذلك نراه لايتوانى في التنكيل ببعض كبار الصحابة الذين عارضوا سياسته.

الكوفة: العودة إلى القرابية والهرمية

بعد عزل الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة (٣٠هـ/٦٥١م) - وهو ناتج أساسًا عن رفض الكوفيين لسلوكه الشخصي المُسْتَهتِر بضوابط الشرع- ولَّاها الخليفة عثمان بن عفان سعيد بن العاص، الذي بمجرد وصوله قام بحركة رمزية تمثلت بغسل المنبر قائلاً: "إن الوليد كان نجسا رجسا".[٣٦] ثم إنه عمل على الاستعلام عن أحوال الكوفة وأهلها، وكتب إلى عثمانﷺ بهذا التقرير: "إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغُلب أهل الشَّرف منهم، والبُيُوتات والسابقة والقدمة، والغالب على تلك البلاد رَوَادف رَدفت، وأعراب لحقت، حتى مايُنظر إلى ذي شرف وبلاء من نازلتها ولانابتها".[٣٧] يتضح من خلال هذا النص أن الكوفة كانت تعيش في هذه الفترة - نهاية ولاية الوليد بن عقبة وبداية ولاية سعيد بن العاص- حالة من الاضطراب والفوضى، وعدم الانتظام، غَذَّاها وساهم في زيادة حدتها طبيعة نازِلَتها الذين ليس لهم عه بالاستقرار والتحضر، ولم تتأدب نفوسهم بآداب الاسلام، إذ كانوا - كما يقول ابن خلدون-: "جُفاة لم يستكثروا من صحبة النبيﷺ، ولا هَذَّبتهم سيرته وآدابه، ولا ارتاضوا بخلقه، مع ماكان فيهم في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبُعد عن سكينة الإيمان".[٣٨] كما يمكن إرجاع حالة الفوضى هذه إلى سياسة الوليد "الشَّعْبَوَيَّة"[٣٩] والتي قد تكون لعبت دورًا مهما في تراجع دور أهل الشرف والسابقة أمام جموع القبائل البدوية الوافدة حديثًا.

لقد غرق أهل البيوتات والشرف والسابقة من فاتحي تلك البلاد –عدديًا- في وسط بحر من القبائل البدوية غير المنظمة، وعجزوا عن تأطير هذه الروادف واللَّواحق التي كانت خارج نفوذهم، لأنهم كانوا مَنْسيين، وشبه مُهَيْمَن عليهم من قِبَل السواد الأعظم الذي لم يكن يستند إلى المبدأ القبلي حتى ينقاد للأشراف، ولا إلى المبدأ الإسلامي القائم على مبدأ الجهاد.[٤٠] إن السياسة التي أمر عثمان واليه باتباعها في الكوفة هي رفع أهل السابقة والقدم في الإسلام، أي العودة إلى المبدأ الإسلامي الذي سَنَّهُ الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطابﷺ والقائم على مبدأ "إنزال الناس منازلهم"، لقد أمره بـ "فَفَضِّل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، ولْيَكُن من نزلها بسببهم تبعا لهم، إلاأن يكونوا تثاقلوا عن الحق".[٤١] هذا ما سَيَتَّبعه سعيد بن العاص الذي عمل على إحاطة نفسه بوجوه أهل الكوفة وأشرافها، إذ تذكر الروايات أنه كان "لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية"،[٤٢] كما أدخل معهم قُرَّاء أهل الكوفة،[٤٣] والمُلاحظ أن هؤلاء القراء هم

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الذين عارضوا ولاية الوليد بن عقبة وكانوا السبب في عزله، ويبدو أن غاية سعيد بن العاص من تقريب هذه الجماعة هو تنظيم وتأطير تلك الجموع القبلية المهاجرة حديثا إلى الكوفة، وأيضا محاولة استمالة تلك العناصر إعتقادًا منه أنها الطريقة الوحيدة لمحاصرة الفوضى التي تتخبط فيها الكوفة، خاصةً وأن تلك العناصر كانت هي الأكثر نفوذًا، والأكثر نشاطًا، لقد كان سعيد بن العاص يهدف إلى "تهدئة الخواطر"[٤٤] في الكوفة.

أراضي الصوافي بين مشروعين: مشروع الخليفة ومشروع القُرّاء

في سنة٣٠هـ/٦٥١م إتخذ الخليفة عثمان بن عفان قرارًا بالغ الأهمية والخطورة في نفس الوقت، الهدف الظاهري منه هو إعطاء من شهد عملية فتح العراق من مقاتلي القادسية وغيرهم، وعاد للاستقرار في الجزيرة حقه من أراضي الصوافي، أما الهدف المُستتر وراء هذا القرار هو ترسيخ قدم المهاجرين والأنصار في الأقاليم المفتوحة، ورفع مكانتهم السياسية والمادية بعد أن غمرتهم جحافل الروادف القبلية البدوية، التي انتقلت إلى الكوفة واستقرت بها، كان هذا القرار هو عملية مبادلة الأراضي، حيث خطب عثمان في أهل المدينة قائلاً: "يا أهل المدينة، إن الناس يَتَمَخَّضُون بالفتنة، وإني والله لأتَلَخَّصَن لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك، فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه، فيقيم معه في بلاده؟ فقام أولئك وقالوا: كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟ فقال: نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز".[٤٥] فتصورات العدالة العثمانية لم تكن ترضى أن يتساوى اللاحقون بالسابقين، والروافد بالطلائع، والمهاجرون والأنصار بالأعراب والقبائل، لقد سعى عثمان إلى تعزيز الأرضية المادية للنخبة المَدينية حتى تتمكن من المحافظة على مواقع الرئاسة في الأمة، خاصةً في الأمصار المفتوحة.[٤٦] ولم يكتف عثمان في سبيل تحقيق هذه الغاية بقرار المبادلة فقط، بل أقطع جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أراضي من صوافي العراق وهم: الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، عبد الله بن مسعود، أسامة بن زيد، وخباب بن الأرت.[٤٧]

هذه خلاصة النظرة العثمانية لأراضي الصوافي في السواد، أما القراء الذين كانوا يسيطرون على إدارة أراضي الأرياف في العراق، وبالتحديد أراضي الصوافي الشاسعة،[٤٨] فإنهم كان لهم نظرتهم الخاصة لهذه الأراضي، التي كانوا يعتبرونها فيئا أفاءه الله عليهم، على اعتبار أنهم الذين فتح الله عليهم هذه البلاد، إنها أملاك خاصة بهم ولا يحق لأي كان الادعاء بحقه فيها حتى لوكان الخليفة نفسه، لذلك كان رد فعلهم على قول سعيد بن العاص: "السواد بُستان قريش"[٤٩] عنيفًا جدًا، رَدَّ مالك الأشتر النَّخعي قائلا لسعيد: "أتَزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟ والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبًا إلا أن يكون كأحدنا".[٥٠] لقد أدرك الأشتر والقراء أن عملية المبادلة أدت إلى تقلص أراضي الصوافي التي تحت أيديهم، والتي تمثل مصدر نفوذهم وقوتهم، وبالتالي تراجع إيراداتهم، فشعروا أن مصالحهم مهددة، وأن هذا الإجراء يهدد وجودهم في هذه المناطق، كما فهموا من قول سعيد السابق أن الإدارة العثمانية تلغي - أو على الأقل تُقَلِّل- دور القبائل في الفتوحات وحقها في غنائم السواد، وتجعل كل الفضل لقريش التي ولد الإسلام من رحمها، وبفضلها هدى الله هذه القبائل للإسلام، وأبناءها هم الذين قادوا حركة الفتوحات، وبالتالي لها الحق الكامل في الاستئثار بخيرات البلاد المفتوحة والاستمتاع بها. إن النظام الحاكم عندما مد يده إلى ما كان يعتبره القراء "أموالاً لهم" و"فيئًا أفاءه الله عليهم"، حينئذ فقط بدأ الاهتياج ضد حكم عثمان وولاته.

معارضات الصحابة

تَمَثَّل إرث الخليفة الثاني عمر بن الخطابﷺ في أمة هادئة مُطيعة، مُنْصَهرة ومُنْتَظَمة في نظام قائم ومُسْتَتِب، لكن هذا الإرث يُوَلِّد بصورة آلية ظاهرة تَضخُّم السلطة وتَوسُّعها، وغالبًا انحرافها، وبما أن تجربة الإسلام الأولي لم تتمكن من إقامة رقابة ما، فإن الخليفة عثمان قد أفرط في استعمال السلطة لصالحه ولصالح عائلته، لكن وبقدر ما كانت هناك رقابة ضمنية من جانب الصحابة وتراث معين، وسنة نبوية، وتشريع رباني يُسْتَنَدُ إليه، لم يكن في استطاعة الخليفة أن يذهب بعيدًا في الاستئثار بالسلطة،[٥١] لذلك فإن أول نقد يوجه لسياسة عثمان كان من قِبَل الصحابة الذين رأوا في أنفسهم "ضمير هذه الأمة" والرَّاعون لإرث النبيﷺ وخليفتيه. تذكر الروايات التاريخية أنه منذ تولي عثمان الخلافة بدأت تلوح بوادر المعارضة والرفض لسياسته، إذ كَرِه نفر من الصحابة ولايته لأنه "كان يحب قومه... وكان كثيرا ما يُوَلِي من بني أمية من لم يكن له مع النبيﷺ".[٥٢] فتفضيل عثمان لبني أمية على الصحابة، ورفعهم فوقهم - من ناحية الولاية على الأقل- قد أوجد حالة من الاستياء لدى الصحابة، خاصةً القرشيين منهم، والذين يتخذون من قاعدة مفادها" أن الصُّحْبَة من حيث هي شرعية تاريخية كانت تتغلب على الصِّفة القبلية القرشية".[٥٣]

كان أبو ذر الغفاري من أوائل من عارضوا سياسة التولية العثمانية، فكثيرًا ماكان يُصرح مُنْتَقِدًا عثمان: "يستعمل الصبيان...ويُقَرِّب أولاد الطُّلَقاء".[٥٤] إن أباذر - ومن ورائه الصحابة- كانوا يرون أنهم أحق بتولي أمور المسلمين من بني أمية، إنهم ينظرون إلى السابقة في الإسلام ويجعلونها أساس كل تفضيل، ويرون في تولية عثمان لأقاربه، والأَحداث منهم، تهميشًا وإقصاءً لهم، وهم شيوخ المسلمين، وذوي الأسنان، الذين حملوا هذا الدين على أكتافهم، ودافعوا عنه بسيوفهم، وضَحُّوا من أجله بدمائهم وأموالهم، في الوقت الذي كان بنو أمية الطلقاء وأبناء الطلقاء يحاربونه، إنهم يرفضون أن يتولى أمور المسلمين مَن كان يحاربهم في السابق. ولم يكن أبا ذر هو الوحيد من الصحابة الذي واجه عثمان برفض سياسته في التولية، فقد قال له علي وطلحة والزبير

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

بعد أن عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة ووَلاَّها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز سنة٢٩هـ/ ٦٥٠م: "ألم يوصك عمر ألا تحمل آل أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس؟"،[٥٥] بل إن علي بن أبي طالبﷺ سوف يُحَمِّل ولاة عثمان مسؤولية ثورة القبائل على عثمان، ويُبدي امتعاضه من سياسته في تفضيل أهل بيته عليه، والأخذ برأيهم واستشارتهم دونه، حيث يقول لعثمان لما طلب منه رد الثوار عنه: "إني قد كنت كَلَّمتك مرة، فكل ذلك نخرج فَتُكَلِّم، ونقول وتقول، وذلك كله فِعل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وابن عامر ومعاوية، أطعتهم وعصيتني".[٥٦]

كما أن سياسة عثمان المالية وتخصيصه أهل بيته بالهبات والمنح، كانت محل نقد من قبل الصحابة، الذين رأوا فيها تعديًا على أموال المسلمين، عارضوه بقولهم: "قد وُلِيَ هذا الأمر قبلك خليفتان فمنعا هذا المال أنفسهما وأهليهما"،[٥٧] لكن عثمان علل ذلك بقوله: "إنما منعا ذلك احتسابا، ووَصَلْتُ به احتسابا"،[٥٨] أي أنه إذا كان أبا بكر وعمر قد اجتهدا واحتسبا الأجر في منع نفسيهما وأهليهما أموال الفيء - وكان لهما حق التصرف فيها-، فإن تصرفه في هذه الأموال وإنفاقه على أهل بيته وأقاربه منها كان اجتهادًا منه باعتباره إمامًا، ومن حقه التصرف في أموال الفيء، كما أنه أَوَّلَ ذلك بالصِّلة التي أمر الله بها.[٥٩] أي أن الاختلاف هنا هو في التأويل، فالمعارضة لديها تأويلها الخاص لكيفية تصرف الخليفة في أموال الفيء، التي هي في النهاية "أموال للمسلمين".[٦٠] أما الخليفة عثمان فلديه تأويله الخاص الذي يجعل من أموال الفيء "مالٌ لله"، وبما أنه خليفة لله، فإن له الحق في إعطائه لمن يشاء ومنعه عَمَّن يشاء، فقد رد على مُنْتَقِديه قائلاً: "هذا مال الله أُعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فَأَرغم الله أنف من رَغِم".[٦١]

الخليفة يرى أن المسلمين قد أخذوا حقوقهم، والخُمس المحمول إلى بيت المال للإمام حق التصرف فيه، وليس لهم حق التدخل في شؤون الحكم. هذه إذن نظرة الطرفين لمسألة المال وكلاهما يجد المرجعية الفكرية لتأويله في القرآن والسنة النبوية وطريقة الخليفتين أبي بكر وعمر. لقد كانت نظرة الإدارة العثمانية إلى أموال الفيء أنها مال الله محل معارضة شديدة من قبل الصحابي الكبير أبي ذر الغفاري، فقد قال مخاطبا معاوية بن أبي سفيان والي الشام: "ما يدعوك لأن تسمي مال المسلمين مال الله؟ قال: يرحمك الله يا أباذر، ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره، قال: فلا تقله...".[٦٢]

قُرّاء الكوفة ورفض السيطرة السياسية والاقتصادية لقريش

إن جوهر المشروع السياسي للخليفة عثمان بن عفان هو رفع مؤسسة الخلافة وجعلها مؤسسة مستقلة بذاتها، وتعزيز سلطته كأمير للمؤمنين، وخليفة لله في أرضه وعلى عباده، وفرضها على كافة المسلمين، إنه يرفض أن يقتصر دور الخليفة على تزكية قرارات الرؤساء القبليين في الأمصار المفتوحة، لكن هؤلاء الرؤساء القبليين رأوا في سعي عثمان لفرض مشروعه السياسي، وترسيخ مراكز ومكانة النخبة القرشية المكية، سواء السياسية أو المالية، في الأمصار، تهديدا لمصالحهم، لقد أدرك قراء الكوفة أن هذا الترسيخ السياسي والمالي لن يتم إلا على حساب نفوذهم، ومصالحهم الاقتصادية في العراق، لذلك أطلقوا عقيرتهم بالطعن على عثمان وولاته.

كانت سياسة التولية العثمانية محل معارضة ورفض من قبل هؤلاء القراء، ومن ورائهم قبائلهم، فقد كان الناس في الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص وتولية الوليد بن عقبة سنة٢٥هـ/٦٤٦م يقولون: "بئسما ابتدلنا به عثمان، عزل أبا إسحاق الهين اللين الحبر، صاحب رسول الله ﷺ، وولى أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن"،[٦٣] غير أن حركة المعارضة لسياسة عثمان في تفضيله أهل بيته في التولية لم تلبث أن ازدادت حدتها بعد إدراك هؤلاء القراء لحقيقة المشروع السياسي للخليفة عثمان، فقد رفضوا عودة سعيد بن العاص لولاية الكوفة[٦٤] في يوم الجرعة،[٦٥] وأهمية هذا الصدام تكمن في أنه شكل تحولاً نوعيًا وخطيرًا في المعارضة السياسية للخليفة عثمان، وتطورها إلى العمل العسكري المسلح. إن هذه القبائل برفضها عودة سعيد بن العاص لولايته تعلن العصيان، وترفض الانصياع لأوامر الخليفة، أي أنها تتحدى سلطة الخليفة الذي يحكم بتفويض من الله، وتعلن أن اختيار الوالي يكون من قبلها هي وليس من قبل الخليفة، إنهم يعارضون السلطة المركزية القرشية، ورفض للتغلغل الأموي في شؤون الحكم، وسيطرتهم على الولايات، فقد كتب الأشتر النخعي إلى الخليفة قائلاً: "...وأما محبتنا فأن تنزع وتتوب وتستغفر الله من...توليتك الأحداث علينا، وأن تولي مصرنا عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري وحذيفة فقد رضيناهما، واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك".[٦٦]

كما كانت التدابير المالية - خاصة عملية مبادلة الأراضي- للخليفة عثمان بن عفانﷺ محل معارضة شديدة من قبل قبائل الكوفة التي أدركت أن هذا الإجراء يهدد نفوذها ووجودها في العراق، ويتضح من رواية للطبري وجود فئة عارضت هذه العملية منذ البداية، حيث يقول: "اشترى هذا الضرب رجال من كل قبيلة مما كان له هنالك شيء، فأراد أن يستبدل به فيما يليه، فأخذوا وجاز لهم عن تراض منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق، إلا أن الذين لا سابقة لهم ولا قدمة ولا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقدمة في المجالس والرياسة والحظوة، ثم كانوا يعيبون التفضيل، ويجعلونه جفوة، وهم في ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه، لأنه لا حجة لهم والناس عليهم، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابي أو مُحرَّر استحلى كلامهم، فكانوا في زيادة، وكان الناس في نقصان حتى غلب الشر".[٦٧] لقد أدت عملية المبادلة إلى ظهور فئة من الناس من كبار ملاك الأراضي في العراق على غرار طلحة بن عبيد الله، وغيره من أهل السابقة والقدمة في الاسلام، ويبدو أن هذا الأمر

دورية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أزعج فئة من الناس أقل شأنًا ومكانة من الذين لا سابقة لهم في الإسلام، كما رفضوا مبدأ التفضيل القائم على قاعدة "إنزال الناس منازلهم"، حيث رأوا فيه امتهانًا واحتقارًا لهم، لكنهم لم يظهروا هذه المعارضة والرفض إلا للروادف واللواحق والأعراب، والوافدين الجدد إلى الكوفة، لذلك أخذت أعداد الرافضين لهذه السياسة تزداد نتيجة لتزايد أعداد المهاجرين إلى الكوفة والتي غطت على أهل السابقة والقدمة فيها، لكن السؤال المطروح: هل كانت هذه الفئة الرافضة هي نفسها فئة القراء الذين ثاروا ضد سعيد بن العاص والخليفة؟.

إن ما فجر حركة المعارضة في الكوفة هو قول سعيد بن العاص: "إنما السواد بستان لقريش"، إنه ينتفي دور القبائل في عمليات الفتوح، ويرجع كل الفضل لقريش، وبالتالي لها الحق الكامل في التصرف في البلاد المفتوحة، فالنظرة إلى هذه الأراضي إذن، كانت مختلفة بين الإدارة والقبائل، فالإدارة تعتبر الفيء حقا لبيت المال تتصرف فيه وفق ما تراه مناسبًا، أما المقاتلين فإنهم يرون في الفيء حقًا أصيلاً لهم لا يجوز التصرف فيه دون رغبتهم،[٦٨] لذلك رد الأشتر النخعي على قول سعيد السابق: "أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستانًا لك ولقومك؟"،[٦٩] وهذا الأمر هو الذي فهمه معاوية بن أبي سفيان حين حاور قراء الكوفة المبعدين إلى الشام، حيث كتب إلى الخليفة عنهم قائلاً: "إنما هَمُّهم الفتنة وأموال أهل الذمة"[٧٠].

لم يقتصر رفض القراء على عملية مبادلة الأراضي فحسب، بل أعلنوا أيضًا معارضتهم لنظام العطاء القائم، فقد كان من مطالب الثوار المحاصرين لدار عثمان: "...نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاءً، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من صحابة رسول الله ﷺ"[٧١]. إنهم يعارضون هذا النظام الذي يمنح أموالا لأهل المدينة دون أن يقاتلوا عليها، ويجعلون هذا المال من حق من قاتل عليه فقط، وصحابة رسول الله ﷺ باعتبارهم أئمة المسلمين، وأهل السابقة والبلاء والفضل في الإسلام، إنهم يرون أن الكثير من المال الذي قاتلوا هم عليه يتدفق على المدينة، ليوزع على أهلها الذين لم يشاركوا في الفتوح، وهذا ما يرفضونه.

إن "الكلمة المفتاح"[٧٢] التي وردت في حوار سعيد بن العاص وقراء الكوفة، والتي فجرت حركة المعارضة ضد الخليفة وولاته هي، "قريش"، التي استفردت بحكم دولة الإسلام، إذ ومنذ عهد أبي بكر أصبحت العلاقة بين "قريش" و"العرب" علاقة غالب بمغلوب، وهي العلاقة التي أملتها حروب الردة، وجعلت العرب المرتدين في حكم المنهزمين في حرب كان المنتصر فيها قريش، فالحكم والرئاسة كان لقريش، وكبار رجال الدولة وعمال النواحي وأمراء الجيوش كانوا كلهم من قريش، ومن لم يكن قرشيا فهو يلتقي معها في مضر أو من حلفائها[٧٣].

في سياق تحليله لحوادث الفتنة يشير ابن خلدون إلى طبيعة العرب الذين استقروا في الأمصار المفتوحة، ونظرتهم لحكم قريش لدولة الإسلام، فيقول: "وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الأمصار- الكوفة والبصرة ومصر- جفاة لم يستكثروا من صحبة الرسول ﷺ، ولا هذبتهم سيرته وآدابه، ولا ارتاضوا بخلقه، مع ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الإيمان، وإذا بهم بعد استفحال الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والأنصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب، السابقين الأولين إلى الإيمان، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به، لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم، ومصادمة فارس والروم... فصاروا إلى الغض من قريش والأنفة عليهم، والتمريض في طاعتهم، والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداء عليهم، والطعن فيهم بالعجز عن السوية، والعدل في القسم عن السوية، وفشت القالة بذلك."[٧٤]

إذن حسب ابن خلدون فإن العرب الذين لم يشهدوا مأثرة الرسول والرسالة والوحي، ولم يكن لهم قدم ولا سابقة في الإسلام، ولم يتأدبوا بآدابه، ونتيجة لتأخر إسلامهم وارتداد بعضهم بعد وفاة النبيﷺ، فإنهم وجدوا أنفسهم تحت حكم قريش قبيلة النبي، والتي قادت حروب الردة، وحركة الفتوحات الأولى في عهد أبي بكر وعمر، لكن إسلام هذه القبائل، ومشاركتها في الفتوحات الكبرى، ودورها الفعال في القضاء على إمبراطورية فارس، واستخلاص بلاد الشام من الإمبراطورية البيزنطية، كل هذا جعلها تشعر بسداد دينها تجاه قريش، لقد أصبحت معادلة لها من وجهة نظرها، لذلك استنكفوا استئثار قريش بحكم دولة الإسلام، وبدأوا يطالبون بالتسوية الكاملة مع قريش.

لقد رأى القراء في سياسة الخليفة عثمانﷺ "بدعة محدثة"، حيث خطب الأشتر النخعي في أهل الكوفة قائلاً: "إن عثمان قد غير وبدل"،[٧٥] ثم كتب إليه كتابًا جاء فيه: "من مالك بن الحارث إلى الخليفة الخاطئ الحائد عن سنة نبيه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره."[٧٦] فالخليفة عثمان من وجهة نظر القراء لم يكتف بالتغيير والتبديل، بل إنه أخطأ في تأويلاته واجتهاداته وسياسته، وحاد عن سنة الرسول ﷺ، ونبذ حكم القرآن وخالفه، فالقرآن والسنة النبوية وطريقة الخليفتين أبي بكر وعمر هي المرجعيات التي استند إليها القراء في الحكم على عثمان بالابتداع والخطأ، وبما أنه قد أحدث ما لا يجوز فإنه يجب تغييره ولو بالقوة.

خاتمة

لقد نتج عن سعي الخليفة عثمان بن عفانﷺ لفرض مشروعه السياسي الرَّامي لجعل مؤسسة الخلافة مؤسسة سلطوية مستقلة بذاتها، مُؤسسةٌ أعلى وأسمى من الشرعية التاريخية للصحابة، ومن الاعتبارات القبلية للمشيخة والرئاسة، إلى اصطدامه بمعارضة شديدة من قبل هؤلاء - الصحابة والقبائل- الذين رأوا في سياسته هذه تغييرًا وتبديلاً لسنة قوية وضعها الرسولﷺ وخليفتيه أبو بكر وعمر. إن الصحابة في معارضتهم لسياسة عثمان كانوا ينطلقون من فكرة مُؤَدَّاها أنهم يمثلون "ضمير هذه الأمة"، و"الرَّاعون لإرث النبي

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

وخليفتيه"، لذلك واجهوا عملية التغيير التي حاول عثمان تحقيقها، والتي رأوا فيها بدعة يجب وضع حد لها.

أما القراء - ومن ورائهم القبائل- فإن معارضتهم لسياسة عثمان لم تبدأ فعليًا إلا بعدما رأوا فيها تهديدًا لمصالحهم، ومحاولة لفرض سيطرة "قريش بني أمية" على حكم دولة الإسلام، أي محاولة أُموية للاستحواذ على "مال المسلمين وفَيْئِهم"، بعدما فرضوا سيطرتهم على "الولاية والسياسة" في الدولة، إذن فمعارضتهم هي أيضا رفض للنفوذ المتزايد للأسرة الأموية في دولة عثمان، والتي كانوا يرون فيها نزوعًا نحو "المَلَكية"، وتتعارض مع القرآن والسنة النبوية وطريقة الخليفتين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

الهوامش:

(١) البلاذري أحمد بن يحي بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): **كتاب جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق، سهيل زكار، رياض زركلي، دارالفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ٣٨٦/١٠.

(٢) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح(ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): **تاريخ العقوبي**، تحقيق، م أوتسما، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٣، ١٨١/٢ .

(٣) زهيرهواري: **السلطة والمعارضة في الإسلام بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية ١١_١٣٢هـ / ٦١٢ _ ٧٥٠م**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ١٦٩.

(٤) أيمن إبراهيم: **الإسلام والسُلطان والمُلْك دراسة تاريخية في العلاقة بين ظهور الإسلام وتأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى في مرحلة صدر الإسلام ١_٦٠هـ/٦٢٢_٦٨٠م**، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩٨، ٢٣٠.

(٥) ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ/٨٤٥م): **كتاب الطبقات الكبير**، تح، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ٦٠/٣.

(٦) اليعقوبي: مصدرسابق، ١٨٤/٢.

(٧) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٤٤.

(٨) البلاذري: مصدرسابق، ١٣٦/٦.

(٩) اليعقوبي: مصدرسابق، ١٩٤/٢، ١٩٥ .

(١٠) البلاذري: مصدرسابق، ١٣٧/٦.

(١١) المصدر نفسه والصفحة.

(١٢) نفسه، ٢٠٩/٦.

(١٣) نفسه، ١٨٢/٦.

(١٤) نفسه: ١٣٣/٦. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م): **تاريخ الرسل والملوك**، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (دت)، ٣٧٧/٤.

(١٥) البلاذري: مصدر سابق، ١٤٠/٦. ثمة رواية أخرى للبلاذري حول ابن الأرقم خازن بيت المال الذي رفض دفع مالٍ لرجال أمره عثمان بدفعه لهم، فقال له عثمان: "إنما أنت خازن لنا، فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازنا للمسلمين، وإنما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبدا، وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر". نفسه، ١٧٣/٦.

(١٦) الطبري: مصدر سابق، ٣٩٥/٤.

(١٧) نفسه، ٣٧٧/٤.

(١٨) نفسه، ٣٧٦/٤، ٣٧٧.

(١٩) يُعلل إبراهيم بيضون هذا التوجه السلطوي العثماني، في أن الخلافة في مفهوم عثمان تعني ملكا منحه الله أياه، وكان يغذي هذه النزعة لديه، الشعور السائد في أسرته الأموية، بأنها استعادت ملكا مفقودًا وحقًا قديمًا في السلطة والنفوذ. **أنظر**: إبراهيم بيضون: **ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ١١٠. وفي هذا المعنى يورد المسعودي رواية تقول أنه بعد مبايعة عثمان بالخلافة دخل بنو أمية على أبي سفيان وقد عمي فقال لهم: "...أفيكم أحد من غيركم؟...قالوا: لا، قال: يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم ورائه". المسعودي: مصدرسابق، ٣٥١/٢، ٣٥٢ .

(٢٠) محمد عبد الحي شعبان: **صدر الإسلام والدولة الأموية(٦٠٠_٧٥٠م)**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ٧٥، ٧٦.

(٢١) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٤٣.

(٢٢) نفسه، ٢٤٠.

(٢٣) الطبري: مصدر سابق، ٣٣٥/٤.

(٢٤) البلاذري: مصدر سابق، ١٦٧/٦.

(٢٥) نفسه، ١٦١/٦، ١٦٢.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(٢٦) نفسه، ١٦٩/٦. لما عزم عثمان على نفي عمار بن ياسر قال له علي: "يا عثمان، اتق الله فإنك سيرت رجلا صالحا من المسلمين فهلك في تسييرك _يعني أباذر_ ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره...قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه...واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته فإن هذا شيء لايسوغ، فكف عن عمار". نفس المصدر والصفحة.

(٢٧) نفسه، ١٣٨/٦. ابن الأثير أبوالحسن علي بن أبي الكرم(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق، أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧، ٤٧٦/٢، ٤٧٧. يذكر المسعودي أن الوليد بن عقبة ممن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار. **أنظر:** المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٣، ٣٤٣/٢، ٣٤٤.

(٢٨) ابن الأثير: مصدر سابق، ٤٨٢/٢. كان عبد الله بن سعد يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: أنا آت ي بمثل ما أتى به محمد، وفيه نزلت الآية: **"ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثلما أنزل الله"** (الأنعام_٩٣). وكان ممن أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمه، ثم أَمَّنه بعد إلحاح من قبل عثمان بن عفان. **أنظر:** البلاذري: مصدر سابق، ١٩/١١، ٢٠.

(٢٩) نفسه، ١٩/١١.

(٣٠) ابن الأثير: مصدر سابق، ٤٩١/٢.

(٣١) نفسه، ٣/٣، ٤.

(٣٢) ابن خياط أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): **تاريخ خليفة بن خياط**، تح، مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥، ١٠٦.

(٣٣) الطبري: مصدر سابق، ٣٣٣/٤. لما أرسل عثمان بن عفان إلى ولاته - وهم معاوية بن أبي سفيان، سعيد بن العاص، عبد الله بن سعد بن أبي سرح، عبد الله بن عامر- يشاورهم قال لهم: إن لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي...". لاحظ أنه اجتمع بولاته للأخذ برأيهم دون رأي الصحابة الذين لم يستدعهم للإجتماع. نفس المصدر والصفحة.

(٣٤) شعبان: مرجع سابق، ٧٦، ٧٧.

(٣٥) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٣٨.

(٣٦) المسعودي: مصدر سابق، ٣٤٦/٢.

(٣٧) الطبري: مصدر سابق، ٢٧٩/٤.

(٣٨) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): **مقدمة ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٨، ٢٠٠٣، ١٦٩.

(٣٩) هشام جعيط: **الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر**، ترجمة، خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٠، ٨٢.

(٤٠) المرجع نفسه والصفحة.

(٤١) الطبري: مصدر سابق، ٢٧٩/٤.

(٤٢) نفسه، ٣١٧/٤، ٣١٨. أنظر: البلاذري: مصدر سابق، ١٥١/٦. ابن الأثير: مصدر سابق، ٣٠/٣، ٣١.

(٤٣) البلاذري: مصدر سابق، ١٥١/٦. من بين هؤلاء نذكر: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، زيد وصعصعة ابنا صوحان العبديان، حرقوص بن زهير السعدي، جندب بن زهير الأزدي، شريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر العبسي، كعب بن عبدة النهدي، كدام بن حضرمي بن عامر، مالك بن حبيب من بني ثعلبة...وغيرهم. نفسه، ١٥١/٦، ١٥٢، ١٥٣.

(٤٤) جعيط: مرجع سابق، ٨٢.

(٤٥) الطبري: مصدر سابق، ٢٨٠/٤.

(٤٦) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٤٩.

(٤٧) الصولي أبو بكر محمد بن يحي: **أدب الكتاب**، تح، محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٢، ٢١٢. **وانظر:** غيداء خزنة كاتبي: **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري الممارسات والنظرية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ٢٩٩.

(٤٨) شعبان: مرجع سابق، ٧٧.

(٤٩) الطبري: مصدر سابق، ٣٢٣/٤.

(٥٠) المصدر نفسه والصفحة.

(٥١) جعيط: مرجع سابق، ١٢٠.

(٥٢) البلاذري: مصدرسابق، ١٣٤/٦، ١٣٩، ١٦٠.

(٥٣) جعيط: مرجعسابق، ٩١، ٩٢.

(٥٤) البلاذري: مصدرسابق، ١٦٧/٦.

(٥٥) نفسه، ١٣٩/٦. تذكر رواية أن عمر بن الخطاب لما طعن وعين عثمان في أهل الشورى استدعاه وقال له: "يا عثمان، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس". البلاذري: ١٢٠/٦. من جانبه يورد الطبري رواية توضح ميل عثمان لبني عشيرته وتفضيلهم على غيرهم وذلك في قصة عزل أبي موسى الأشعري عن ولاية البصرة، قال غيلان بن خَرشة للخليفة عثمان رضي الله عنه: "أما منكم خسيس فترفعوه؟ أما منكم فقير فتجيروه؟ يا معشر قريش، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري البلاد؟ فانتبه لها الشيخ - يعني عثمان- فولاها عبد الله بن عامر". الطبري: مصدر سابق، ٢٦٦/٤ .

(٥٦) نفسه، ٣٥٨/٤.

(٥٧) نفسه، ٢٠٨/٦.

(٥٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٥٩) ابن سعد: مصدر سابق، ٦٠/٣. البلاذري: مصدر سابق، ١٣٣/٦.

(٦٠) الطبري: مصدر سابق، ٢٨٣/٤.

(٦١) البلاذري: مصدر سابق، ٢٠٩/٦.

(٦٢) الطبري: مصدر سابق، ٢٨٣/٤.

(٦٣) البلاذري: مصدر سابق، ١٣٩/٦.

(٦٤)استغل القراء ذهاب سعيد إلى المدينة بعد استدعائه من قبل الخليفة عثمان للتشاور في أمر الإشاعات المنتشرة حول ولاته، وقاموا بحركتهم.

(٦٥) البلاذري: مصدر سابق، ١٥٨/٦.

(٦٦) نفسه، ١٥٩/٦.

(٦٧) الطبري: مصدر سابق، ٢٨١/٤.

(٦٨) كاتبي: مرجع سابق، ٣٠٤.

(٦٩) البلاذري: مصدر سابق، ١٥٢/٦.

(٧٠) الطبري: مصدر سابق، ٣٢١/٤.

(٧١) نفسه، ٣٥٥/٤.

(٧٢) جعيط: مرجع سابق، ٨٨.

(٧٣) محمد عابد الجابري: **العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١٠، ٢٠١٠، ١٥٨.

(٧٤) ابن خلدون: مصدر سابق، ١٦٩.

(٧٥) البلاذري: مصدر سابق، ١٥٧/٦.

(٧٦) نفسه، ١٥٩/٦.

دورية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449